وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي
جامعة بغداد
كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية – فصلية - محكمة
تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العدد: ٢

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الدخيل
في تفسير جزئي تبارك وعمّ من تفسير البغوي

إعداد
د. فايز صالح الخطيب*
استاذ مساعد
جامعة اليرموك / كلية الشريعة – قسم أصول الدين
الأردن – أربد

ملخص

يتناول هذا البحث موضوع (الدخيل في تفسير تبارك وعمّ من تفسير البغوي)، ابرزت فيه المكانة العلمية اللائقة بالأمام البغوي، وأهمية تفسيره عند العلماء والدارسين، وبينت فيه معنى كل من : التفسير، والاصيل، والدخيل، والاسرائيليات، وعلاقة الدخيل بالاسرائيليات، ثم مدى خطورة الدخيل وآثاره السيئة والاسلام والمسلمين.

وتناول هذا البحث : ما أورده البغوي من خرافات وروايات اسرائيلية وأحاديث واهية في آخر جزئين من تفسيره، وبينت ضعفها من حيث: السند والمتن، وتعارضها مع نصوص القرآن، والاحاديث النبوية الصحيح للآيات التي ورد في تفسيرها، وفي الخاتمة حذرت من رواية الدخيل أو نقله، ودعت الى تحرير كتب التفسير مما علق بها من أباطيل كانت ولا زالت مصدر شر وبلاء على الأمة الاسلامية.

---

* أستاذ مساعد في قسم أصول الدين – كلية الشريعة – جامعة اليرموك. الأردن.

ABSTRACT

This research deals with the topic of (the strange of the partial explanation of Tabarak and Amma parts of Baghawi's explanation) I made clear the respected scientific effect of Imam Baghawi and the importance of his explanation to the scientists and researchers.

This research in which I clarified the meaning of Explanation, Original, Strange, Israelites and the relation of the Strange with the Israelites and the dangers of the Strange and its bad effects on the Explanation, Islam as well as Muslims.

The reserarch dealt with what Al-Baghawi has mentioned of myths, Israelites tales as well as feeble traditions within the last two parts of his explanation. I pointed to their weakness concening the support, text and their contradiction with the Qu'ranic and the correct prophet tradition texts and their contradiction with the human mind and God's tradition in life.

I mentioned the explanator's points of view who criticsed them as well as writing the right explanation to these Qu'ranic Verses which had Strange in their explanation.

I finally warned of telling the Strange or even writing it and called to the correction of explanation books to aviod the false tales which were and still a source of evil and bad omen to the Islamic Community.

مُقَدِّمَة

الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد.

فقد خص اللّه تعالى هذا الكتاب وميزه عن سائر الكتب السماوية الأخرى، بأن جعله معجزة خالدة للرسول ﷺ ومنهاج حياة، وقد تكفل سبحانه بنفسه بحفظه من التحريف والتبديل، وصيانته من العبث والباطل، وأستند إليه وظيفة الهيمنة على الكتب السابقة، فهو مصدق لها وحاكم عليها، ومقدم على ما سواه وأناط اللّه به عز الدنيا وسعادة الأخرة.

ولأن اللّه تعالى وكل حفظ كتبه السماوية السابقة الى الناس فلم يحافظوا عليها فأصابها التحريف والتبديل، وأضيف إليها كلامٌ غير كلام اللّه، وأخفى أصحابها كثيراً من الحق الذي فيها، ولَوَوْا السنتهم بالكتاب، ونسوا حظاً مما ذكروا به، بعد أن كانت كتب هداية ونور ورحمةٍ، فحوت بعد ذلك من الخرافات والسخافات والأباطيل شيئاً كثيراً، مما يخلف صراحة نصوص القرآن الكريم، وألسنة النبوية الصحيحة ويتناقض مع العقل، وسنن اللّه في الكون، بل ونسب فيها الى اللّه تعالى، ورسله الكرام، وملائكته الأطهار ما لايصح أن ينسب إليهم، مثل التجسيم والتشبيه بالنسبة له سبحانه، وفعل الفواحش، ومحاولة أرتكاب جريمة القتل والمكر والكذب بالنسبة الى أنبياء اللّه عليهم السلام، ومثل هذا الركام من الأساطير والخرافات الاسرائيلية قد تسرب كثير منه الى ساحة التفسير عن طريق مسلمة أهل الكتاب، ومما ساعد أيضاً على وجود الدخيل في التفسير، أنه قد وجد في المجتمع الاسلامي، فتن وأحداث استغلت للدس والوضع، كفتنة خلق القرآن، والدعوة الى العصبية والعنصرية، ووجود فئات ومذاهب سياسية ودينية متعددة، قام بعضهم بتأويلات فاسدة لبعض آيات القرآن وحمّلها ما لا تحتمل، لترويج مذهبه ولتوافق هواه، فهكذا كثر الدس والاختلاق، وانتشار الأحاديث الموضوعة والمنكرة في أحاديث الرسول ﷺ، علاوة على ما وضعه القصّاص من غرائب وعجائب، وما وضعه كذلك بعض الزهاد وغلاة المتصوفة من أحاديث في الترغيب والترهيب، وفي فضائل كل سورة من سور القرآن حسبه للّه وتقرباً إليه، ثم ما كان من حذف الاسانيد من أثر سيء في وجود الدخيل

والأسرائيليات، وبسبب هذه العوامل والمؤثرات أخذت الأساطير والمروريات الاسرائيلية والأحاديث الضعيفة طريقها الى تفسير القرآن الكريم، والى أحاديث الرسول ﷺ والتبس الصحيح بالعليل حتى كادت تطغى على التفسير الصحيح لكتاب اللّٰه وتخفي جماله.

ونظراً لخطورة هذه المرويات الدخيلة وآثارها السيئة، التي سأذكرها بالتفصيل في الفصل الثاني تحت عنوان : مدى خطورة الدخيل وآثاره السيئة (ص٥) أخترت هذا البحث العلمي المتواضع محذراً من رواية الدخيل والأسرائيليات أو نقلها الا بقصد التحذير منها وبيان كذبها.

وهذه الدراسة دعوة ونداء الى كل الأخوة المتخصصين في هذا المجال للعمل على تنقية كتب التراث ولاسيما كتب التفسير مما علق به من مرويات باطلة وأحاديث واهية.

وهي أيضاً من أجل أبراز واحد من أعلام الاسلام الذين أفنوا حياتهم، وبذلوا جهودهم في التصنيف والتأليف خدمة للإسلام ولاسيما في جانب التفسير، وإظهار مكانته العلمية اللائقة به.

والحق أن تفسير البغوي المسمى –معالم التنزيل– من أجلّ كتب التفسير، وحاز على شهرة عظيمة بين العلماء وطلبة العلم، وأثنى عليه كثير من العلماء، وأشادوا بقيمته العلمية ولكنه كان مشوباً بالدخيل والأساطير والقصص الغريبة فأحببت أن أقوم بتحرير آخر جزئين منه رغبة في تعميم الفائدة للمسلمين، حيث أن الجزئين الأخيرين يقرأهما أكبر عدد من المسلمين في الصلاة وغيرهما. وأقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة الفصل الأول يحتوي على مبحثين، الأول : التعريف بحياة البغوي، والثاني: معنى كل من التفسير والأصيل والدخيل والأسرائيليات، والعلاقة ما بين الدخيل والأسرائيليات، أما الفصل الثاني فقد جعلته لبيان خطورة الدخيل وآثاره السيئة والفصل الثالث بينت فيه ما ورد من الدخيل في تفسير جزئي تبارك وعمَّ، ووجدت أن ست سور من هذين الجزئين قد دخل في تفسيرها الدخيل من اسرائيليات وروايات خرافية وهي : تبارك، والقلم، والحاقة، والنبأ، والمطففين، والفجر، والخاتمة : نتائج البحث واقتراحات وتوصيات.

الفصل الأول

وينقسم الى مبحثين هما :

الأول : التعريف بحياة الأمام البغوي.

الثاني : معنى كل من التفسير والأصيل والدخيل والاسرائيليات والعلاقة بين الدخيل والاسرائيليات.

المبحث الأول

التعريف بحياة الأمام البغوي

هو الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بأبن الفراء(١)، البغوي(٢) ولد في شهر جمادي الأولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة(٣)، في بلاد خراسان رحل إلى مرو الروذ، والتقى بالقاضي حسين المروزي، وتتلمذ عليه، ونهل من علمه ودرس المذهب الشافعي عليه، ثم طوّف في بلاد خراسان وأخذ عن مشاهير علمائها اللغة العربية، وعلوم القرآن، والسنة المطهرة، وبرز في علم القراءات وقد شهد له عدد من العلماء بالاستقامة وسلامة العقيدة، وأثنوا على أخلاقه وسيرته الحسنة، وبالغوا في ذكر نزاهته، قال عنه ابن كثير : "كان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً "(٤)، ويقول عنه أبن خلكان : "الفقيه الشافعي المحدث المفسر كان بحراً في العلوم"(٥)، أما اليافعي فيقول فيه : "المحدث المقرئ صاحب التصانيف"(٦)، وقد ذاع صيته شرقاً وغرباً فأطلق عليه : شيخ الاسلام، ومحيي السنة، وركن الدين، وقامع البدعة(٧)، وهذ الألقاب دلت في جملتها على علوّ كعبه في علوم الدين

---

(١) نسبة لعمل الفراء وبيعها وهي صنعة أبيه.

(٢) نسبة الى وبغشور، وهي نسبة شاذة – على غير قياس –، وبغشور بلدة من بلاد خراسان.

(٣) ياقوت – معجم البلدان – ٤٦٨/١.

(٤) أبن كثير – البداية والنهاية – ١٩٣/١٢.

(٥) ابن خلكان – وفّيات الأعيان – ١٣٦/٢.

(٦) اليافعي – مرآة الجنان – ٢١٣/٣.

(٧) أبن خلكان – وفيات الأعيان – ١٣٦/٢، الخطيب التبريزي – مشكاة المصابيح – ٣/١.

ومعارفه. وتتلمذ عليه عدد كبير من العلماء، الذين وفدوا لسماعه والتلقي منه من بلاد مختلفة أشهرهم النيسابوري[٨] والقزويني[٩] والسرخسي[١٠] والمروزي[١١] وغيرهم وقد ترك البغوي - رحمه الله - عدة مؤلفات في التفسير والحديث والفقه والسيرة، نالت أعجاب العلماء المتخصصين، وحازت مكانة علمية على مر العصور، ولاسيما ما جاء منها في السنة المطهرة، والفقه على المذهب الشافعي، وأشهرها : معالم التنزيل : وهو تفسير متوسط، نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وهو من أجل المصنفات في علم التفسير، جامع للصحيح من الأقاويل، محلىّ بالأحاديث النبوية، مطرزاً بالأحكام الشرعية، موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة[١٢] وهو مختصر من تفسير الثعلبي[١٣]، وشرح السنة[١٤]، وهو من أجلّ كتب السنة التي أنتهت الينا من تراث السلف، وكتاب مصابيح السنة[١٥]، والجمع بين الصحيحْين[١٦]، والأنوار في شمائل النبي المختار[١٧]، والتهذيب في الفقه[١٨] ومجموعة الفتاوى[١٩] وتوفي في شوال سنة ست عشرة من الهجرة[٢٠].

---

(٨) هو محمد بن أسعد بن محمد (أبو منصور) ت ٥٧٣هـ من أهل نيسابور راجع الأسنوي - طبقات الشافعي - ٩٢/٦، أبن كثير - البداية والنهاية - ٢٩٩/١٢.

(٩) ملكدار بن علي بن أبي عمرو العمركي ت ٥٣٥هـ من أهل قزوين كان من أئمة المذهب الشافعي، راجع الأسنوي - طبقات الشافعية - ٣٠٢/٧.

(١٠) توفي ٥٥٥، فقيه ورع، راجع الأسنوي - طبقات الشافعية - ١٥٧/٧.

(١١) محمد بن الحسين المروزي كان صالحاً فاضلاً، عارفاً بالحديث راجع أبن عماد الحنبلي - شذرات الذهب - ١٨٧/٤.

(١٢) الخازن - لباب التأويل في معاني التنزيل - ٣/١.

(١٣) أنظر : ابن تيمبة - مقدمة في أصول التفسير - ص٧٦.

(١٤) السبكي - طبقات الشافعية - ٧٥/٧، السيوطي - طبقات المفسرين - ص : ١٢.

(١٥) أبن كثير - البداية والنهاية - ١٩٣/١٢.

(١٦) السيوطي طبقات المفسرين - ص١٢.

(١٧) الكتاني - الرسالة المستطرفة - ص١٠٥.

(١٨) ياقوت الحموي - معجم البلدان - ص٤٦٨.

(١٩) السبكي، طبقات الشافعية - ٥٧/٧.

(٢٠) الداوري - طبقات المفسرين - ج ١٥٩/١.

المبحث الثاني

معنى :

تفسير.......... أصيل .... دخيل .... اسرائيليات

يحسن بنا أن نقدم بين البحث معنى كل من : التفسير والأصيل والدخيل والأسرائيليات، أذ أجد هذا مفتاح الموضوع ووسيلة الدخول فيه :

التفسير :

التفسير في اللغة : تفعيل، وهو مصدر فسّره، مشتق من الفسر بمعنى الإبانة والكشف ولإظهار المعنى المعقول، وفي لسان العرب(٢١) : الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، قال تعالى ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾(٢٢). أي بياناً وتفصيلاً، وقال بعضهم: هو مقلوب من (سَفَر) ومعناه أيضاً الكشف، يقال سفرت المرأة سفوراً اذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح اذا أضاء.

التفسير في الاصطلاح : (علم يفهم به كتاب اللّه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه وأستخراج أحكامه وحكمه وأستمداد ذلك من اللغة والنحو التصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)(٢٣).

الأصيل :

الأصيل لغة : يقال رجل أصيل أي له أصل، ورأي أصيل له أصل، ورجل أصيل ثابت الرأي عاقل.

وقال صاحب المصباح المنير : أصل الشيء أسفله، وأساس الحائط أصله، واستأصل الشيء ثبت أصله وقوي.

الأصيل في الاصطلاح : (هو التفسير الذي له أصل في الدين) أو (هو التفسير الذي يستمد روحه من كتاب اللّه عز وجل ومن سنة رسوله ﷺ ومن أقوال الصحابة

---

(٢١) أنظر ابن منظور - لسان العرب - ج ١١٠/٢

(٢٢) سورة الفرقان آية ٣٣.

(٢٣) الزركشي - البرهان في علوم القرآن - ج ١٣/١.

والتابعين)(٢٤). وهذا التعريف ينطبق على الأصيل بالمأثور، أما تعريف الأصيل للتفسير بالرأي : (هو ما كان من قبيل الرأي المحمود الموافق لكلام العرب ومناحيهم في القول الموافق للكتاب والسنة والمراعي لشروط التفسير)(٢٥).

الدخيل :

الدخيل في اللغة : جاء في لسان العرب : فلان دخيل في بني فلان اذا كان من غيرهم(٢٦)، بل هو نزيل عليهم وقيل : هذا الفرع دخيل بمعنى أنه ذكر استطراداً ومناسبةً ولا يشتمل عليه عقد الباب(٢٧).

وقال صاحب القاموس تحت مادة دخل، والدخل محركة ما داخلك من فساد في عقل أو جسم (٢٨).

فيتضح مما سبق ذكره أن معنى كلمة دخيل لغة تدور حول محور واحد هو العيب والفساد الداخلي نتيجة تسلسل شيء خارجي ليس له أصل في المحيط الذي تسلل اليه، وذلك كالشخص الذي ينتسب الى قوم ليس منهم، وكالكلمة غير العربية تدخل في الكلام العربي ونحو ذلك.

الدخيل في الاصطلاح : ما نقل في التفسير ولم يثبت نقله أو ما ثبت ولكن على خلاف شرط القبول أو ما كان من قبيل الرأي الفاسد(٢٩).

أو هو التفسير الذي لا أصل له في الدين بمعنى أنه تسلل الى رحاب القرآن الكريم على حين غفلة بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ.

الأسرائيليات :

معنى الأسرائيليات : جمعٌ مفردة اسرائيلية نسبة الى النبي اسرائيل وأسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (إسرا) بمعنى عبد و (ايل) بمعنى اللّه، فيكون معنى الكلمة عبد اللّه

---

(٢٤) د. عبد الوهاب فايد – الدخيل في تفسير القرآن الكريم – ج ١/١٣.

(٢٥) ابراهيم خليفة – الدخيل في التفسير – ج ١/٢٨٧.

(٢٦) ابن منظور – لسان العرب – ١١/٢٤١.

(٢٧) أحمد المقري – المصباح المنير – ج ١/٨٧.

(٢٨) الفيروزآبادي – القاموس المحيط – ج ٣/٣٨٦.

(٢٩) د. ابراهيم خليفة – الدخيل في التفسير – ج ١/٤٠.

وصفوته من خلقه، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الأضافي لا لصدره، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر أسرائيلي.

ولكن علماء التفسير الحديث يطلقون لفظ الأسرائيليات على ما هو واسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في أصطلاحهم يدل على كل ما تطرق الى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها الى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، وما دسه كذلك أعداء الأسلام من أخبار لا أصل لها ليفسدوا بها عقائد المسلمين(٣٠).

العلاقة بين الدخيل والأسرائيليات :

بعد أن بينا الدخيل لغة وأصطلاحاً، وبينا المعنى المراد من الأسرائيليات، فقد أتضح لنا أن الأسرائيليات تعد جزئية من جزئيات الدخيل، فالدخيل أعم وأشمل من الأسرئيليات لأنه يتناول كل تفسير قد تسلل الى رحاب القرآن ولا أصل له فهو يعم كل الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفسير وكل تأويلات الباطنية وشطحات غلاة الصوفية، وبدع التفاسير اللغوية وكذلك تحريفات البهائية والقاديانية(٣١)، وشطحات المفسرين العصريين، أو الخروج بالآية القرآنية عن معناها الحقيقي وقطعها عن النص القرآني السابق عليها واللاحق بها والأستدلال في غير ما يحتمله معناها. فالعلاقة أذن بين الدخيل والأسرائيليات هي العموم والخصوص فكل الأسرائيليات دخيل وليس كل دخيل أسرائيليات.

الفصل الثاني

مدى خطورة الدخيل وآثاره السيئة

لاشك أن الدخيل وما حواه من أباطيل وخرافات أدخلها أعداء الأسلام في صورة قصص وحوادث على تفسير كتاب اللّه يشكل خطراً بالغاً، ويحدث أثراً سيئاً ينعكس على التفسير وعلى الأسلام والمسلمين نلخصها فيما يلي :

---

(٣٠) أنظر : د. محمد الذهبي - الأسرائيليات في التفسير والحديث - ص٢٣ بتصرف.

(٣١) أنظر : د. عبد الوهاب فايد - الدخيل في تفسير القرآن الكريم - ج ١٠١/١ بتصرف.

١- إن بعض هذا الدخيل ما يخالف صراحة نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، ويتناقض مع العقل، وسنن اللّه في الكون وقد تسلل ذلك الى رحاب التفسير عن طريق مسلمة أهل الكتاب لكي يفسدوا عقائد المسلمين وأفكارهم، وكان مصدر هذا النوع الخبيث من الدخيل هو كتب أهل الكتاب المحرفة، فقد حوت التوراة والآنجيل بعدما أصابهما من التحريف والكذب ما لايليق بكمال اللّه وجلاله، ونسبت الى أنبياء اللّه فعل الفواحش مثل شرب الخمر، وأقتراف فاحشة الزنا ومحاولة أرتكاب جريمة القتل والمكر والأحتيال الى غير ذلك مما يقدح في عصمتهم ويشكك في نبوتهم، ونسبت كذلك الى الملائكة الأطهار ما لايصح أن ينسب اليهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الأصحاح الثاني من سفر التكوين(٣٢) : من أن اللّه لما فرغ من خلق الدنيا فاستراح في اليوم السابع، وبارك ذلك اليوم وقدّسه لأنه أستراح فيه من جميع عمله الذي عمل، والقرآن الكريم ينفي صراحة التعب عن اللّه حيث يقول ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لُغوب﴾(٣٣)، وكذلك ماجاء عن سيدنا لوط عليه السلام أن أبنتيه سقتاه خمراً فزنا بهما، وحملتا منه وولدت كل منهما ولداً : أبن الكبيرة أبو المآبيين، وأبن الصغيرة أبو بني عمّون(٣٤)، وما زعموه عن هارون عليه السلام أنه هو الذي صنع العجل لبني أسرائيل ودعاهم الى عبادته(٣٥)، وما أفتروه على داوود عليه السلام أنه زنى بزوجة قائده العسكري اوريا وعمل على التخلص منه(٣٦)، والى غير ذلك من مناكير الأسرائيليات التي يؤسف له غاية الأسف أن يدوّن في بعض كتب التفسير.

٢- أنها تصور الأسلام أمام الباحثين ولاسيما في هذا العصر -عصر تقدم العلوم الكونية والمعارف البشرية- في صورة دين خرافي يعنى بأباطيل وخرافات لا أصل لها، وتظهر بمظهر الدين الساذج.

---

(٣٢) العهد القديم - سفر التكوين - الأصحاح الثاني رقم ١-٣.

(٣٣) سورة ق، الآية رقم ٣٨.

(٣٤) العهد القديم - سفر التكوين - الأصحاح التاسع عشر رقم ٣٥-٣٧.

(٣٥) العهد القديم - سفر الخروج - الأصحاح الثاني والثلاثون رم ١-٥.

(٣٦) العهد القديم - سفر صموئيل - الأصحاح الحادي عشر.

ومن أمثلة ذلك ما يروى في صفة آدم عليه السلام من أن رأسه كان يبلغ السحاب أو السماء ويحاكها، فأعتراه لذلك صلع، ولما هبط الى الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن(٣٧)، وما روي كذلك في صفة حملة العرش من أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش(٣٨)، أو ما روي أيضاً عن أحد الجبابرة وهو عوج بن عنق أن طوله بلغ ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع وكان يحتجر بالسحاب ويشرب منه، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله، وأن الماء في زمن نوح طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج بن عنق وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه اللّه على يد موسى عليه السلام(٣٩).

وما قيل كذلك في تفسير (ق) أنه جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الأرض(٤٠)، وفي تفسير (ن) أنه الحوت الذي على ظهره الأرض(٤١)، والى نحو ذلك مما ذكره بعض المفسرين في بدء الخلق، وأسرار الوجود وتعليل بعض الظواهر الكونية مثل الرعد والبرق والخسوف مما يخالف حقائق العلم وسنن اللّه الكونية.

ومثل هذا الدخيل والموضوع كان ولا يزال مثار شبهة وتشكيك وأعتراضات وتجنبات من جانب أعداء اللّه على الأسلام والقرآن والنبي ﷺ(٤٢) وهذا مما دفع بعض كتاب المسلمين في هذا العصر من الذين لايميزون بين الحق والباطل ولا بين الغث والسمين أن يستخفوا بدينهم أو يوردها بعضهم في تآليفه وآحاديثه على أنها صحيحة لاغبار عليها، وكان هذا الأمر بالغ الخطورة، عز على الهداة والمصلحين انتزاع هذه الأباطيل من عقول العامة، وغدت عقبات وأشواكاً في طريق التقدم الفكري الأسلامي.

---

(٣٧) أبن قتيبة - تأويل مختلف الحديث - ص٣٣٥.

(٣٨) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ١٥/٢٩٤،٢٩٥.

(٣٩) تفسير الخازن بالبغوي - ج ٢/٢٥.

(٤٠) تفسير الخازن بالبغوي - ج ٦/٢٣٣.

(٤١) المرجع السابق ج ٧/١٢٨.

(٤٢) أنظر : د. محمد أبو شبهة - الأسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - المقدمة ص/٥.

٣- أنها كادت تذهب بالثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين فقد أسند كثير من هذه الروايات الأسرائيلية المنكرة الى نفر من سلفنا الصالح، الذين عرفوا بالثقة والعدالة، وأشتهروا بين المسلمين بالتفسير والحديث، وأعتبروا من المصادر الهامة عند المسلمين فأتهموا من أجل نسبة الأسرائيليات اليهم بأبشع الأتهامات، وعدهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين المدرسين على الأسلام وأهله، ومن أكثر هؤلاء السلف نيلاً منه وتحاملاً عليه: أبو هريرة، وعبد اللّه بن سلام، وكعب الأحبار ووهب بن منبه ممن لهم في الأسلام قدم راسخة(٤٣).

٤- أنها كادت تصرف الناس عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله، وهو التدبر في آياته والأنتفاع بعبره وعظاته والبحث عن حكمه وأحكامه الى توافه لا خير فيها، وصغائر لا وزن لها، مثل الكلام عن لون كلب أهل الكهف وأسمه، وعن عصا سيدنا موسى من أي الشجر كانت، وعن أسم الغلام الذي قتله الخضر وعن طول السفينة وعرضها(٤٤)، والى غير ذلك مما لا فائدة في معرفته مما طواه القرآن الكريم وسكت عنه ويعد البحث عنها عبثاً محضاً ومضيعة للوقت.

٥- ومن الآثار السيئة على التفكير أن ضاع كثير من هذا التراث العظيم الذي خلّفه لنا أعلام المفسرين من السلف، لأن ما أحاط به من شكوك أفقدنا الثقة به، وجعلنا نرد كل رواية تطرق اليها شيء من الضعف وربما كانت صحيحة في ذاتها.

وبعد هذه المقدمة : أبدأ بعون اللّه تعالى في الأبانة عن الدخيل في تفسير آخر جزئين عن كتاب اللّه جزء تبارك وجزء عمّ، لعلمي بالحاجة الماسة التي تذب عن كتاب اللّه تعالى ما علق بتفسيره من الدخيل والخرافات والأساطير التي كانت وما زالت شراً وبلاءً على الاسلام والمسلمين، ولأن هذين الجزئين تكثر قراءتهما من كتاب اللّه في الصلاة، وأول ما يحفظ غالباً، فأحببت في هذا البحث المتواضع أن أقوم بتنقيتها من الكدر والشوائب، وهذا ما يرفع بالطبع من قيمة هذا التفسير العلمية، ويحل الدارسين يقبلون عليه بثقة وأطمئنان، وقد أعتمدت في بحثي على النسخة المطبوعة على هامش تفسير الخازن ج٧ سنة ١٣٧٥، الموافق لسنة ١٩٥٥.

---

(٤٣) د. محمد الذهبي - الأسرائيليات في التفسير والحديث - ص٥٨.

(٤٤) أنظر : ابن تيمية - مقدمة في علم التفسير - ص٥٦.

الفصل الثالث

الدخيل

الدخيل في تفسير جزئي تبارك وعمّ من تفسير البغوي

تمهيد : كتاب معالم التنزيل الشهير - بتفسير البغوي - يعد من التفاسير المبكرة لأن صاحبه عاش في القرن الخامس الهجري، وجاء هذا التفسير جامعاً شاملاً لجوانب متعددة، فقد حرص على المأثور من كتاب اللّه وسنة الرسول ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين، وعني باللغة والنحو والقراءات، وقضايا العقيدة والأحكام الفقهية، وذكر آراء أهل السنة والسلف، ولكن دون أستطراد وتفصيل، وهذا ما جعله مفيداً لأعداد كبيرة من القراء والمهتمين بكتاب اللّه وتدبره، ولقد وجدت كلَّ الذين ترجموا وتحدثوا عن الأمام البغوي من قدماء ومحدثين قد رفعوا من قدره وأشادوا بتفسيره(٤٥)، وعدوه إماماً في التفسير كما أعتبروا تفسيره من أحسن التفاسير في بابه، مما جعل العلماء والمختصين بالتفسير يتلقون تفسيره بالقبول والأعجاب فأعتمدوا عليه وأعتنوا به وألفوا عليه التفاسير المفصلة والمختصرة لذا كان نصيبه الرواج والأنتشار.

ورغم جلال قدر مصنفه، وغزارة علمه في مختلف أنواع العلوم الأسلامية إلاّ أنه أورد في تفسيره أخباراً أسطورية، وقصصاً أسرائيلياً وروايات ظاهر بطلانها من غير أن يجد حرجاً في روايتها أو التعقيب عليها بشيء لتفنيدها، ودون أن يضع هذه الروايات على ميزان النقد والتمحيص. ومن ذلك :

كذكره ما أختلقه المبطلون على أمّ المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها في نسبة الخطأ الى كتابة بعض الآيات في المصحف الشريف(٤٦) وذكر الخبر المختلق على سيدنا عثمان ﵁ في أن في المصحف لحنا وخطأ ستقيمه العرب بألسنتها(٤٧)، وما نقله أيضاً في همّ

---

(٤٥) أنظر : السيوطي - طبقات المفسرين - ص١٢، - تفسير الخازن بالبغوي - ٣/١، أبن تيمية - مقدمة في أصول التفسير - ص٧٦، د. الذهبي - التفسير والمفسرون - ٢٣٨/١.

(٤٦) أنظر : هامش تفسير البغوي ج ٤٩٨/١-٤٩٩ ط١٩٨٦، والردود على هذه الأخبار الباطلة والأقاويل الكاذبة التي وضعها أعداء الأسلام للتشكيك في القرآن الكريم.

(٤٧) أنظر : هامش تفسير البغوي ج ٤٩٨/١-٤٩٩ ط١٩٨٦، والردود على هذه الأخبار الباطلة والأقاويل الكاذبة التي وضعها أعداء الأسلام للتشكيك في القرآن الكريم.

يوسف عليه السلام، والبرهان الذي رآه، فقد نقل عن يوسف النبي الصديق أنه حلّ سراويله، وجلس من امرأة العزيز مجلس الخائن، وأن البرهان الذي رآه هو في صورة أبيه يعقوب عليه السلام وهو يقول لأبنه : يايوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء ؟!.

وقوله أيضاً بأن أبليس من الملائكة!، وأن الذبيح هو أسحاق بدل أسماعيل!، ونراه يرجح القول الذي ينسب الشرك الى آدم وحواء عند تفسيره للأيتين ١٨٩، ١٩٠ من سورة الأعراف، وقوله عن الملكْين هاروت وماروت أنهما شربا الخمر وزنيا وقاما بارتكاب جريمة القتل وسجدا للصنم.

والعجب كل العجب كيف يروي الأمام البغوي وغيره مثل تلك الأكاذيب من غير نقد ولاتفنيد لها وهو العلم البارع في الحديث الملقب بمحيي السنة.

وسبب تسرب الأسرائيليات الى تفسير البغوي هو أنه كان مختصراً من تفسير الثعلبي المسمّى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) الذي حوى الروايات الضعيفة والموضوعة، وإن كان تفسير البغوي أقل منه بكثير، والذي أعتمد عليه، كما أشار في مقدمة تفسيره الى ذلك، قال أبن تيمية واصفاً الثعلبي وتفسيره : (والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع)(٤٨) وهناك سبب أخر هو أن الأمام البغوي نقل في تفسيره عمن عرفوا وأشتهروا بنقل الأسرائيليات، وضعفهم علماء الحديث، وحذروا من مروياتهم ومن هؤلاء : الكلبي(٤٩) والسدي الصغير، ووهب بن منبه، ومقاتل بن سليمان(٥٠) وزيد بن أسلم وغيرهم، أما السبب الأخير الى أن الأمام البغوي قد صنف تفسيره في بداية حياته العلمية أي في مرحلة التحصيل العلمي التي تحتاج الى صقل وتهذيب.

---

(٤٨) أبن تيمية - مقدمة في أصول التفسير - ص٧٦.

(٤٩) هو محمد بن السائب الكلبي، كان سباياً، من أصحاب عبد الله بن سبأ من اولئك الذين يقولون : أن علياً لم يمت، وأنه راجع الى الدنيا قبل قيام الساعة... وأن رأوا سحابة قالوا : أن أمير المؤمنين فيها أنظر الأمام السمعاني - الأنساب - ج ١٠/٤٥٣-٤٥٤/، الذهبي - ميزان الأعتدال - ج ٣/٥٥٨.

(٥٠) قال عنه سفيان عن أبن المبارك : أرم به، ورقى بالتجسيم وكذبوه وهجروا، وقال الدوري وغيره عن أبن معين : ليس بشيء ... الخ، أنظر ترجمة عند أبن فجر العسقلاني - تهذيب التهذيب - ١٠/٢٧٩-٢٨٥.

وبعد هذا أرى أن أبين منهجي في بيان الدخيل في جزئي تبارك وعمّ وهو :

أولاً : أذكر غالباً الرواية الأسرائيلية بنصها وسندها إن وجد موثقة بالجزء والصفحة.

ثانياً : نقد الرواية من حيث السند والمتن.

ثالثاً : أذكر أقوال المفسرين الناقدين لهذه المرويات الغريبة مبيناً مخالفتها والنقل وسنن اللّه في الكون.

رابعاً : التفسير الصحيح للآية أو الآيات التي وجد في تفسيرها أسرائيليات اذا أستدعى الموقف ذلك وأذكر أحياناً أدلة من الكتاب والسنة.

الدخيل في تفسير سورة الملك

ما ورد من الدخيل في صفة الموت والحياة

ومن الدخيل ما رواه الأمام البغوي عند تفسيره قوله تعالى ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أحسن عملاً﴾(٥١) ، عن أبن عباس رضي اللّه عنهما في صفة الحياة، وصفة الموت قال :(خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء، ولايجد ريحه شيء إلاّ مات وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء انثى وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الاّ حيي، وهو التي أخذ السامري قبضة من أثرها فألقى على العجل فحيي)(٥٢) .

فهذه الرواية أسندها الأمام البغوي الى أبن عباس -رضي اللّه عنهما- دون أن يذكر طريقها، أو يعلق عليها بشيء.

أرى بادئ بدء في هذا المقام - أن أبين أمراً مهماً لابد منه يتعلّق بشخصية أبن عباس، وبالروايات المسندة إليه فأقول : لقد أكثر الرواة الرواية عن أبن عباس حتى لا

---

(٥١) سورة الملك، الآية رقم ٢.

(٥٢) تفسير الخازن بالبغوي ١٢٤/٧.

وقد روى الأمام السيوطي في كتابه - الدر المنثور - مثل هذه الرواية فمرة يرويها عن قتا دة ومرة أخرى يرويها عن وهب بن منبه وفيها زيادة ج ٢٤٧/٦-٢٤٨.

نجد آية في القرآن غالباً إلاّ ويذكر في تفسيرها قول أو رواية منسوبة إليه(٥٣) ، والوضاعون لم يتورعوا عن الوضع على رسول الله ﷺ ليؤيدوا وجهة نظرهم رغم أنذار الرسول ﷺ للكذابين الذين ينسبون إليه ما لم يقله، فأن الأمر يكون سهلاً بالنسبة للوضع على أبن عباس ونسبة كلام إليه لم يقله.

وحتى أن التفسير الذي بأسمه والمسمّى : (تنوير المقباس في تفسير أبن عباس) ضعيف الصلة به إن لم نقل أنه مما نسب اليه زوراً(٥٤) ، ولكن الكثير من العلماء والدارسين لا يعرفون هذا، يأخذون كل ما فيه على أنه لأبن عباس، والحق أن أبن عباس مظلوم في الكثير مما نسب اليه، وهو منها براء.

وقد بين العلماء روايات الضعفاء عن أبن عباس وطرقها(٥٥) ، وحذروا منها، فليس اذاً كل ما نسب الى أبن عباس صحيحاً مسلماً به، بل لا بد من التحري والتثبت من صحة الرواية، هذا ما يجب أن يعلمه كثير من الناس، ولاسيما طلاب العلم ومن لهم صلة بتفسير كتاب الله.

---

(٥٣) إن الذي دفع الوضاعين الى أسناد الأكاذيب الى حبر الأمة أبن عباس رضي الله عنهما وهو منه براء أمران :

الاول : أنه قد تبوأ منزلة الصدارة في علم التفسير بين أصحاب النبي رضوان الله عليهم ومرد ذلك الى عدة أسباب هي :

أ - بفضل دعاء النبي ﷺ (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) رواه البخاري في الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء رقم ١٤٣.

ب - شدة حرصه على تلقي ما فاته من العلم من علماء الصحابة.

ج- ما حباه الله عز وجل من الذكاء والفطنة وطهارة المنبت.

د - أنه كان بحراً في علوم شتى : مثل علوم اللغة العربية والأخبار التأريخية وعلوم أهل الكتاب.

الثاني : قيام دولة نسبت اليه والى أبيه العباس هي الدولة العباسية، ومن هنا تكونت الهالة الكبرى حول أسمه، أنظر أبن عاشور - التفسير ورجاله - ص٣١، د. عبد المنعم النمر - علم التفسير - ص٢٦-٢٧ بتصرف.

(٥٤) ألف هذا التفسير المنسوب الى أبن عباس وكتبه محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ ولم يكتبه أبن عباس.

(٥٥) أنظر : د. محمد أبو شهبه - الأسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - ١٥١-١٥٦.

أما فيما يتعلق بالرواية المنسوبة الى ابن عباس في صفة الموت والحياة، فقد رواها عدد كبير من المفسرين دون تعليق عليها أو نقد لها، على أن هناك بعض المفسرين لم يسلموا بهذا القول، وهو أن اللّه خلق الموت في صورة كبش أملح... وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء... الخ ونقدوه، فها هو الأمام الرازي بعد أن يذكر رواية أبن عباس في صفة الموت والحياة يقول معلقاً عليها : (وأعلم أن هذا مقولاً على سبيل التمثيل والتصوير ثم يقول: وأعلم أنا بينا أن الموت عرض من الأعراض كالسكون والحركة فلا يجوز أن يصير كبشاً بل المراد منه التمثيل)(٥٦) .

ويشترك معه في هذا الشيخ الألوسي فيقول بعد أن يذكر رواية أبن عباس : (وأما ما روي عن أبن عباس... فهو أشبه بكلام الصوفية لا يعقل ظاهرة وقيل هو وارد على منهاج التمثيل والتصوير)(٥٧) .

أما صاحب تفسير (فتح البيان في أعجاز القرآن) فقد ردّ مثل هذه الصفة المزعومة للموت والحياة بآيات كريمة مثل قوله تعالى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾(٥٨) وقوله ﴿ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ (٥٩) ، وقوله ﴿اللّه يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ (٦٠) ، وغير ذلك من الآيات(٦١) .

وهناك حديث يرويه الأمام أحمد ينص طرحه على أن ملك الموت هو الذي يقبض روح المؤمن وروح الكافر على السواء، وليس فيه ما يشير على أن الموت خلق على صورة كبش، فعن البراء بن عزب ﷺ خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في جنازة رجل من الأنصار... قال رسول اللّه ﷺ (إن العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا وأقبال على الآخرة... ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس المؤمنة أخرجي الى مغفرة اللّه ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء... ثم

---

(٥٦) الفخر الرازي – التفسير الكبير – ج ٩/٥٤-٥٥.

(٥٧) الآلوسي – روح المعاني – ج ٣٠،٢٩/٤-٥.

(٥٨) سورة السجدة، آية ١١.

(٥٩) سورة الأنفال، آية ٥٠.

(٦٠) سورة الزمر، آية ٤٢.

(٦١) أنظر : صديق خان – فتح البيان – م ١٠/٤-٥.

يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجي الى سخط اللّه وغضب فتفرق في جسده فينزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول... الخ)(٦٢) .

وبعد هذا العرض والبيان فقد وضح لنا أن الموت ليس كما قيل على صورة كبش أملح، وأن الحياة ليست على صورة فرس بلقاء وكل هذا زعم لادليل عليه.

نعم هناك حديث صحيح مروي عن أبي سعيد الخدري جاء فيه : (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين أهل الجنة وأهل النار، فيقال يا أهل الجنة : هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت، ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت قال فيؤمر فيذبح قال ثم يقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيها ثم قرأ رسول ﷺ : (وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)(٦٣) .

فهذا الحديث يصور فقط الموت –يوم القيامة– حين يجاء به على صورة كبش أملح ما بين الجنة والنار، وليس فيه ما يدل على ما يزعمون.

غرائب ما ورد في تفسير السموات

ومن الروايات الغريبة الواهية ما رواه البغوي عن كعب عند تفسير قوله تعالى ﴿ثم أرجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير)(٦٤) . فقال : روى عن كعب أنه قال: (السماء الدنيا : موج مكفوف، والثانية : من درة بيضاء، والثالثة : حديد، والرابعة : صفر أو قال نحاس، والخامسة : فضة، والسادسة : ذهب، والسابعة : ياقوته حمراء، ومن السماء السابعة الى الحجب السبعة : صحارى)(٦٥).

---

(٦٢) أخرجه الأمام أحمد ٤/٢٨٧.

(٦٣) سورة مريم، آية ٣٩ والحديث أخرجه الأمام أحمد في مسنده ٣/٩.

(٦٤) سورة الملك، آية ٤.

(٦٥) تفسير الخازن بالبغوي ط١٩٥٥ ج ١٢٥/٧.

هذا الخبر أخرجه الطبراني في الأوسط(٦٦) عن الربيع بن أنس وفي أسناده أبو جعفر الرازي متكلم فيه، قال في التقريب : صدوق سيئ الحفظ، وضعفه النسائي وغيره(٦٧) .

أما كعب الأحبار الذي روى عنه البغوي فهو من مسلمة أهل الكتاب، ومعروف عند العلماء بأنه من أقطاب الروايات الأسرائيلية، ولايعتد بأخباره.

الدخيل في تفسير سورة القلم

أساطير وخرافات في حملة الأرض

يروي الأمام البغوي عند تفسير (ن والقلم) روايات أسطورية في منتهى الغرابة، فيذكر روايتين في حملة الأرض :

الأولى : أن حوتاً عظيماً هو (ن) يحمل الأرض على ظهره، وينسبها الى أبن عباس.

الثانية : أن اللّه أهبط ملكاً عظيماً من تحت العرش، فحمل الأرض على عاتقه، وينسبها الى الرواة !، ويتفنن البغوي ههنا في ذكر قصص خيالية عجيبة، تخالف العقل والنقل دون أن يتعرض لها بنقد فيقول :

((ن) أختلفوا فيه فقال أبن عباس : هو الحوت الذي على ظهره الأرض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي... ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض فأثبت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض... وأختلفوا في أسمه فقال الكلبي ومقاتل بهموت وقال الواقدي ليوثا وقال كعب لوثيا وعن علي أسمه بلهوث وقال الرواة : لما خلق اللّه الأرض وفتقها بعث من تحت العرش ملكاً فهبط الى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه، أحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الأرض حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط اللّه عليه من الفردوس ثوراً له ألف قرن، وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأخذ اللّه ياقوته خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فأستقرت عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجه من

---

(٦٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣١٩٩ مجمع البحرين).

(٦٧) الهيثمي - مجمع الزوائد - ج ١٣١/٨.

أقطار الأرض، ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفساً فإذا تنفس مد البحر وازبد واذا ردّ نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق اللّه تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فأستقرت قوائم الثور، وهي الصخرة التي قال لقمان لأبنه (فتكن في صخرة) ولم يكن للصخرة مستقر فخلق اللّه نوناً وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال، والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة قيل، فكل الدنيا كلها بما عليها حرفان، قال لها الجبار كوني فكانت، قال كعب : إن أبليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهر الأرض فوسوس إليه فقال له : أتدري ما على ظهرك يالوثيا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك فهمّ لوثيا بفعل ذلك فبعث اللّه دابة فدخلت منخرة فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى اللّه منها فأذن لها فخرجت قال كعب : فو الذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر اليه إن همّ بشيء من ذلك عادت الى ذلك كما كانت وقال بعضهم إن نون آخر حروف الرحمن)(٦٨) .

والذي يظهر –واللّه تعالى أعلم– أن هذه الأخبار التي جاء بها الأمام البغوي : سواء أكانت فيما يتعلق بالحوت العظيم الذي على ظهره الأرض أو فيما ذكر من اسمائه أو في صفة الملك الذي أهبطه اللّه من الفردوس وله أربعون الف قرن وأربعون الف رجل، وكذلك ما ذكر في وسوسة أبليس الى الحوت ليلقي ما على ظهره، أو دخول الدابة الى دماغه، جميعها من وضع ونسج القصاص الذين يهيمون بأخبار العجائب الخيالية لجلب أنظار العامّة، ولا يصح أن يظن مسلم بمثل هذه الأخبار الغريبة، والأنسان في هذا الزمان أستطاع أن ينظر الى الأرض من الفضاء وهي سابحة فيه بقدرة اللّه عز تعالى(٦٩)

ولقد أخبر اللّـه سبحانه أن السماء والأرض ممسوكتان بقدرته فقال ﴿أن اللّه يمسك السماء والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما أحد من بعده﴾ (٧٠) فهذه الآية الكريمة تعارض صراحة ما رواه الأمام البغوي من روايات خرافية في حملة الأرض، ويلحظ على البغوي – رحمه اللّه – أنه لم يتحر الدقة العلمية المنهجية فيما ينقله حين قال : قال الرواة : لما خلق اللّه الأرض... الخ فلم يسمّهم بل أبهمهم ! ثم يروي بعد ذلك قصة خيالية واضح

---

(٦٨) تفسير الخازن بالبغوي ج ١٢٨/٦، ١٢٩.

(٦٩) أنظر : هامش البغوي تعليق خالد العك ومروان سوار، ج ٣٧٤/٤.

(٧٠) سورة فاطر، آية ٤١.

كذبها عن كعب الأحبار دون أن يعقب عليها بكلمة، ومعلوم أن كعب الأحبار هذا من أقطاب الروايات الأسرائيلية التي أبتليت بها الأمة الأسلامية، فجميع ما روى عن كعب الأحبار أو السدي أو الكلبي فمعرفون هؤلاء بالضعف والكذب، والروايات عنهم مردودة.

ورغم أن عدداً من المفسرين شارك البغوي في نقل مثل هذه الأساطير والخرافات في تفاسيرهم(٧١) ، إلاّ أن بعضهم تصدى لهذه المرويات الدخيلة بالنقد والتضعيف فها هو الأمام الرازي بعد أن يذكر أقوالاً أربعة في تفسير (ن)(٧٢) يقول عنها : (أعلم أن هذه الوجوه ضعيفة)(٧٣) وقال الأمام الآلوسي بعد أن أطال الكلام وفصل الأقوال : (لعله لا يصح شيء من ذلك ... ثم قال وللقصاص في هذا الفصل روايات لا يعوّل عليها ولا ينبغي الأصغاء اليها)(٧٤) .

ويعلق الدكتور محمد أبو شهبة على ما ذكره بعض المفسرين أمثال أبن جرير والسيوطي عن أبن عباس من أن (ن) هو الحوت الذي على ظهره الأرض ويسمى (الهيموت) فيقول : (والظاهر أنه أفتراء عليه أو هو من الأسرائيليات الصق به)(٧٥) .

والصحيح من التفسير في معنى (ن) : أنها من الحروف الهجائية المقطعة كقوله (ص)، (ق) ونحو ذلك من الحروف في أوائل السور، أريد بها التحدي والأعجاز.

أما ما ذكره الإمام البغوي وغيره من المفسرين حول تفسير (ن والقلم) ما هي إلاّ أساطير وخرافات وهي من الدخيل على التفسير، لم يثبت منه شيء عن رسولنا ﷺ، وهو لا يستحق أن يلتفت اليه أو أن يعوّل عليه أو أن يشار إليه ولا حتى أن يُدَوّن في كتب التفسير.

فخلاصة القول نقول : مرويات الأمام البغوي مردودة من حيث :

١- السند مثل رواية السدي والكلبي وكعب الأحبار لها.

٢- أنها تتعارض مع نصوص القرآن الكريم.

٣- تختلف مع العقل بعدم تسمية بعض الرواة حين قال : قال الرواة.

---

(٧١) أنظر : الخازن بالبغوي ج ١٢٨/٧، النسفي ٢٧٩/٤، الثعلبي ٣٢٤/٤.

(٧٢) وهي : السمكة، الدواة، اللوح الذي تكتب عليه الملائكة، المداد.

(٧٣) أنظر : الرازي – التفسير الكبير ٧٧/١٥.

(٧٤) تفسير الآلوسي – روح المعاني – ٢٩ /٢٣، ٢٤.

(٧٥) د. محمد أبو شهبة – الأسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير – ص٣٠٥.

٤- نقد أئمة التفسير لها.

الدخيل في تفسير سورة الحاقة

الدخيل فيما روي في صورة حملة العرش

يذكر البغوي كلاماً غريباً في صفة حملة العرش وهو يفسر قوله تعالى ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾(٧٦) .

يذكر حديثاً بسند طويل الى العباس بن عبد المطلب يبين فيه بعد كل سماء عما تليها، وغلظ كل سماء، ويخبر فيه عن وجود بحر عظيم فوق السماء السابعة، وفوق البحر ثمانية أوعال يحملون العرش، فيقول : (فكانوا ثمانية على صورة الأوعال ما بين أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء. وجاء في الحديث "لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر" أخبرنا أبو بكر بن أبراهيم الترابي أن أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أن محمد بن يحيى الخالدي أن أسحاق بن الهيثم الحنظلي ثنا عبد الرزاق ثنا يحيى بن العلاء الراعي عن عمه شعيب بن خالد ثنا سماك بن حرب عن عبد اللّه بن عمير عن العباس بن عبد المطلب قال : (كنا جلوساً عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال ﷺ أتدرون ما هذا قلنا السحاب، قال والمزن قلنا والمزن قال والعنان قلنا والعنان فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قلنا اللّه ورسوله أعلم قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكذلك غلظ كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله ما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين السماء والأرض، وفوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض واللّه تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء)(٧٧) .

وقد أسرف المفسرون في وصف حملة العرش، جاءوا بغرائب وأحاديث واهية ضمنهوها تفاسيرهم -نعرض عن كثير منها- ولكن الذي يدعو للعجب من أمرهم كيف أن

---

(٧٦) سورة الحاقة ، آية ١٧.

(٧٧) تفسير الخازن بالبغوي ج ١٤٤/٧.

مثل هذه الأحاديث الموقوفة أو الواهية تخفى على بعضهم فلا يشك فيها ولايضعفها - وهو العالم في علم الحديث وصاحب التصانيف المشهورة فيه مثل شيخنا الأمام البغوي فنراه يقول يقول : وجاء في الحديث (لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد..... الخ)(٧٨) .

أما صاحب الدر المنثور(٧٩) فينسب هذه الأوصاف الى قول وهب بن منبه -الذي يعد أيضاً من أقطاب الروايات الأسرائيليات- أما الخازن(٨٠) فوجدته مرة ينسب هذه الرواية الى السدي وتارة ينسبها الى عروة بن الزبير، ويزيد عليها ما رواه عن أبن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صدّق شعراً لأخيه بن أبي الصلت، تضمن هذا الشعر أن لكل ملك من حملة العرش أربع وجوه(٨١) ، وبالغ المفسرون أيضاً في شأنهم فقالوا أن رؤوس حملة العرش في السماء السابعة وأقدامهم في تخوم الأرض السابعة ولهم قرون مثل قرون الوعول... الى غير ذلك من الأقوال الغريبة التي لا فائدة من ذكرها.

أما ما جاء به البغوي عن عبد الله بن عمير عن العباس بن عبد المطلب : (كنا جلوساً عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة... إلى آخر الحديث(٨٢) الذي مر سابقاً) والذي يذكر فيه بُعد كل سماء عن الاخرى فقد ضعفه صاحب تفسير التحرير والتنوير فيقول فيه : (وروى الترمذي عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ حديثاً ذكر فيه أبعاد ما بين السماء والأرض، وفي ذكر حملة العرش رموز ساقها الترمذي مساق التفسير لهذه الآية(٨٣) ، أحد رواته عبد الله بن عمير عن الأحنف بن قيس، قال البخاري لا نعلم له سماعاً عن الأحنف، وهناك أخبار غير حديث العباس لايعبأ بها وقال أبن العربي فيها :

---

(٧٨) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٩٥/٢ من طريق محمد بن أسحاق بن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس، وأبن أسحاق مشهور بالتدليس، وقد عنعن.

(٧٩) أنظر : السيوطي - الدر المنثور - ج ٢٦٠/٦-٢٦١.

(٨٠) أنظر : الخازن بالبغوي ج ١٤٤/٧.

(٨١) أنظر : الخازن بالبغوي ج ١٤٤/٧، والحديث أخرجه أبن الجوزي في العلل المتناهية : ٢٣/١، والحديث فيه علتان : الأولى : أن سماك بن حرب كان قد كبر وصار يقبل التلقين. والثانية : أن عبد الله بن عميرة لم يسمع من الأحنف نص على ذلك البخاوي في التأريخ الكبير : ١٥٩/٥.

(٨٢) أنظر : الخازن بالبغوي ج ١٤٤/٧.

(٨٣) أنظر : أبن عاشور - التحرير والتنوير - ج ١٢٧/٢٩-١٢٨.

(أنها متلقفات عن أهل الكتاب، أو من شعر لأمية بن أبي الصلت، ولم يصح أن النبي ﷺ أنشد بين يديه وصدقه)(٨٤) .

أما الأمام الآلوسي فبعد أن يذكر أن لكل ملك أربعة وجوه وأن لكل ملك أربعة أجنحة : جناحان منهما على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق، وجناحان يطير بهما، فهو ينبه على كذبها وأنه لايجوز أن يعول عليها فيقول : (ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحاً... وفي خبر عن وهب بن منبه، ليس لهم كلام الاّ قولهم : قدّسوا اللّه الذي ملأت عظمته السموات، وأكثر الأخبار في هذا الباب لا يعول عليه)(٨٥) .

وقد بين الخازن في تفسيره وهو يفسر قوله تعالى ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ أن الحديث الذي رواه أبو سعيد الدرامي وأبن خزيمة وغيرهما والذي يحدد فيه المسافة بين كل سماء وسماء... الخ، هو حديث موقوف على أبن مسعود(٨٦) ﷺ .

وكان الأولى والأنسب أن يقال في شأن حملة عرش الرحمن الثمانية هو :

أن حملة العرش الثمانية لاندري من هم ولا كيف يحملون العرش ولا نعلم طولهم، ولا المسافة بين كل سماء وسماء ما دام أن النبي ﷺ لم يبين ذلك في حديث صحيح عنه، وكل هذا من أمور الغيب التي لا تُعلم الا عن طريق الوحي، والمقصود من هذه الآية الكريمة تمثيل عظمة اللّه تبارك وتعالى وتقريب ذلك الى الأفهام ليشعر القلب البشري بالجلال والرهبة والخشوع في ذلك الموقف العظيم.

---

(٨٤) أنظر : أبن عاشور - التحرير والتنوير - ج ٢٩/١٢٧-١٢٨ .

(٨٥) أنظر : الآلوسي - روح المعاني - ٢٩/٤٥-٤٦.

(٨٦) أنظر: الخازن بالبغوي ١٤٤/٧.

الدخيل في تفسير سورة النبأ

الدخيل في تفسير كلمة الروح

ومن الروايات الدخيلة الغريبة ما ذكر عند تفسير قوله تعالى ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا ... الخ﴾(٨٧).

قال عطاء عن أبن عباس: (الروح ملك من الملائكة ما خلق اللّه مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفاً وقامت الملائكة صفاً فيكون عظم خلقه مثلهم) ثم يقول وعن أبن مسعود: (الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة، وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم أثني عشر ألف تسبيحة، يخلق اللّه من كل تسبيحة ملكاً يجيء يوم القيامة صفاً وحده) أو على صورة بني آدم وليسوا بناس ... الخ(٨٨). لايخفى عليك أخي القارئ أن هذه مبالغات لا حقيقة لها قد ساقها صاحب هذا التفسير وليس عليها من كتاب، ولا من سنة صحيحة.

وقد أسرف غير البغوي من المفسرين فذكروا عدة معان لتفسير كلمة الروح، وكلها لا تستحق الذكر، ولا للتعبير عن معنى الروح، ويمكن الرد على ما ذكره البغوي فنقول: إذا كان هذا الروح (ملك) أعظم من السموات ولم يخلق اللّه أعظم منه، فكيف يمكن أن تحويه السماء الرابعة؟!.

ولو كان هذا المخلوق العظيم موجوداً لذكره تعالى في سوق الأدلة على قدرته على الخلق، كما أستدل على ربوبيته بخلق السموات والأرض فقال جل ذكره ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾(٨٩).

أما تسبيح هذا الملك كل يوم أثني عشر ألف تسبيحة، يخلق اللّه من كل تسبيحة ملكاً يجيء يوم القيامة صفاً وحده، فلا ندري من أخبره بذلك وكيف أستطاع عدّ هذه التسبيحات ؟!.

---

(٨٧) سورة النبأ : ٣٨.

(٨٨) تفسير الخازن بالبغوي ج ٢٠٣/٧.

(٨٩) سورة لقمان :٢٥.

ويرد أيضاً على هذه الروايات الواهية : بأن الأمام أبن كثير قد تعرض لهذه الروايات بالنقد والأبطال ولاسيما لما نقل عن أبن مسعود : من أن الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات والجبال ... الخ فقال : هذا قول غريب جداً، ورد كذلك الحديث الذي أخرجه الطبراني عن أبن عباس : (إن للّه ملكاً لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحة سبحانك حيث كنت) فقال : وهذا الحديث غريب جداً وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفاً على أبن عباس ويكون مما تلقاه من الأسرائيليات واللّه أعلم(٩٠) .

ولم يبق أمامنا بعد أن بينا بطلان هذه المرويات وأنها من الدخيل على التفسير إلاّ أن نبين القول الصحيح لكلمة الروح، الروح معناها : هو جبريل عليه السلام وليس غيره والذي يدل عليه قوله تعالى ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾(٩١) وقوله تعالى ﴿قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾(٩٢) .

الدخيل في تفسير سورة المطففين

ماورد من الدخيل في كلمة سجين

ذكر البغوي كغيره من المفسرين عند تأويل قوله تعالى ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾(٩٣) روايات لادليل عليها من الكتاب ولا من السنة الصحيحة، وهي أقرب الى الخيالات منها الى الحقيقة فهو يقول : وقال سمرة بن عطية جاء أبن عباس الى كعب الأحبار فقال أخبرني عن قول اللّه عز وجل ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ فقال : إن روح الفاجر يُصعد بها الى السماء فتأبى أن تقبلها ثم يُهبط بها الى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند أبليس فيخرج لها من سجين من تحت جند أبليس رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند أبليس لمعرفتها الهلاك

---

(٩٠) أبن كثير ج ٤/٤٦٥.

(٩١) سورة الشعراء، آية ١٩٣-١٩٤.

(٩٢) سورة النحل، آية ١٠٢.

(٩٣) سورة المطففين، آية ٧.

بحساب يوم القيامة، واليه ذهب سعيد بن جبير قال : سجين تحت جند أبليس، وقال عطاء الخراساني : هي الأرض السفلى وفيها أبليس وذريته وقال الكلبي : هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء ... وقال وهب : هي آخر سلطان أبليس، وجاء الحديث : (الفلق جب في جهنم مغطى، وسجين جب في جهنم مفتوح)(٩٤) انتهى كلام البغوي.

إن مما يلحظ على هذه المرويات أن من رواتها : كعب الأحبار والكلبي، ووهب بن منبه، فأما كعب، ووهب فقد عرفا أنهما من أقطاب الروايات الأسرائيلية، وأما الكلبي فقد ضعفه العلماء ومنهم أبن حجر(٩٥) فهو متهم عندهم بالكذب، وقيل عنه أنه لما مرض قال لأصحابه : كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب.

وأما المفسرون الذين طعنوا في هذه الأقاويل التي وردت حول كلمة سجين، ورفضوا الحديث المروي في ذلك، فنكتفي بذكر أثنين منهما هما : ابن كثير وابن عاشور -رحمهما الله تعالى- أما أبن كثير فغني عن القول من أنه من المشهود لهم بنقد المرويات الأسرائيلية، ورد الأحاديث الواهية، فنراه يذكر الأقاويل التي قيلت حول كلمة سجين في معرض السخرية والتهكم منها، ثم ينكر الحديث الذي رواه البغوي، وابن جرير وغيرهم فيقول : وقد روى ابن جرير في ذلك حديثاً غريباً منكراً لايصح فقال حدثنا نصر بن خزيمة عن ... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (الفلق : جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح)(٩٦) .

وقال ابن عاشور : (وروى الطبراني بسنده حديثاً مرفوعاً يؤيد ذلك لكنه حديث منكر لاشتماله على مجاهيل)(٩٧) .

التفسير الصحيح للآية :

والذي نراه هنا : أن أكثر ما ذهب اليه كثير من المفسرين من أقوال في تفسير ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ يُعد لغواً لا فائدة منه ولا ضرورة لذكره، والذي نميل

---

(٩٤) تفسير - الخازن بالبغوي - ج ٧/٢١٩-٢٢٠.

(٩٥) هو محمدين الشائب الكلبي، وقد ذكر العلماء أقوالاً تأخذ شبه اجماع في ضعفه فقال معتمر بن سليمان عن أبيه كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء توفي بالكوفة سنة ١١٤هـ، أنظر أبن حجر - تهذيب التهذيب -، ج ٩/١٧٨-١٨٠ بتصرف.

(٩٦) أنظر : أبن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٤/٤٨٥.

(٩٧) أبن عاشور - التحرير والتنوير - ج ٣٠/١٩٥.

إليه أن التفسير الصحيح لهذه الآية الكريمة : أي ليرتدع وينزجر هؤلاء الفجار عما هم عليه من التطفيف والغفلة عن الحساب، فإن الفجار سيحاسبون على أعمالهم، وقد أعدّ اللّه لهم كتاباً أحصى فيه ودوّن أعمال الفجرة من االثقلين يُسمى سجيناً(٩٨) ، وهذا السجين ليس ذلك مما تعلمه أنت ولا قومك، ثم فسره له فقال كتاب مرقوم، أي كتاب قد جعلت له علامة يعرف بها من رآه عرف أنه لا خير فيه.

الدخيل في تفسير سورة الفجر

الأسرائيليات في قصة إرم ذات العماد

ومن الأسرائيليات ما ذكره البغوي عند تفسير قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾(٩٩) عن سعيد بن المسيب : أن إرم هي : دمشق وفي رواية أخرى عن القرظي(١٠٠) : أنها الأسكندرية.

ويقول عن طول قوم عاد، عن مقاتل : (كان طول أحدهم أثني عشر ذراعاً) ثم يشير الى قصة خرافية ذكرها عدد كبير من المفسرين في كتب التفسير، ويشير اليها دون أن يعقب عليها فيقول : سموا بذات العماد لبناء بناه بعضهم فيشد عمده، ورفع بناءه، يقال بناه شداد بن عاد على صفة لم يخلق في الدنيا مثلها، وسار إليها في قومه فلما كان على مسيرة يوم وليلة بعث اللّه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً)(١٠١) .

ونظراً لشيوع هذه القصة الخيالية العجيبة - مدينة إرم - أرى اتماماً للفائدة أن أذكر ملخص هذه القصة للتحذير من تصديقها وعدم الأطمئنان إليها وأنها من أساطير أهل الكتاب ومن وضع زنادقتهم التي ألصقت بتفسير القرآن زوراً وبهتاناً : ذكر كثير من المفسرين أنه كان لعاد أبنان شداد وشديد فملكا وقهرا، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة فقال : أبني مثلها -عتواً على اللّه

---

(٩٨) وسمي سجيناً من السجن وهو الحبس والتضييق في لأنه سبب الحبس والتضييق.

(٩٩) سورة الفجر، من ٦-٨.

(١٠٠) هو محمد بن كعب القرظي من مدرسة المدينــة، ومن مسلمة أهل الكتاب، روى عن علي وأبن مسعود وأبن عباس، وكانت وفاته سنة ثماني عشرة ومائة.

(١٠١) تفسير الخازن بالبغوي ج ٢٤٢/٧-٢٤٣.

وتجبراً- فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار الجارية، فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا جميعاً. وقد روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب ابل له شردت، فبينما هو يسير في صحارى عدن اذ وقع على مدينة في تلك الفلوات -يعني إرم- فحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معاوية فأستحضره وقص عليه، فبعث الى كعب الأحبار فسأله عنها فقال هي إرم ذات العماد، وسيدخله رجل من المسلمين في زمانه أحمر أشقر قصير، على حاجبه خال ثم التفت فأبصر أبن قلابة، فقال : هذا والله ذاك الرجل. ورغم كثرة عدد التفاسير التي ذكرت هذه القصة(١٠٢) ، دون تفنيد لها أو ما يشعر بسخفها، إلاّ هناك عدداً آخر من المفسرين تعرضوا لهذه القصة بالنقد والرد والإبطال ونبهوا على أنها من الخرافات ومن هؤلاء أبن كثير والشوكاني والقاسمي وأبن عاشور والطباطبائي والبروسي وصاحب تفسير (فتح البيان في مقاصد القرآن) قال الأمام أبن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ هي عائدة على القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم، ثم يقول بعد أن يذكر أقوال المفسرين في الآية السابقة : (وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها (إرم ذات العماد) مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها... وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك فإن هذا كله من خرافات الأسرائيلين ومن وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك)(١٠٣) وقال أبن كثير فيما روي عن أبن قلابة : (فهذه الحكاية ليس يصح أسنادها، ولو صح الى ذلك الأعرابي، فقد يكون أختلق ذلك، أو أصابه نوع من الهوس والخبال، فأعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وهذا ما يقطع بعدم صحته)(١٠٤) .

---

(١٠٢) أنظر : الزمخشري- الكشاف - ج ٢٥٠/٤، الطبرسي - مجمع البيان - ج ٧٣٨/١٠، القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ٤٧/٢٠، النيسابوري - غرائب القرآن - ج ٩١/٢٩-٩٢ وغيرهم.

(١٠٣) أبن كثير ج ٤٨٥/٤ ط١٩٨٤.

(١٠٤) نفس المرجع السابق وكذلك الجزء والصفحة.

أما الشوكاني فيقول بعد ذكر هذه القصة : (هذا كذب بحت لا ينفق على من له أدنى تمييز وزاد الثعالبي في تفسيره فقال : إن عبد الله بن قلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة، وهذا كذب على كذب، وأفتراء على أفتراء، وقد أصيب الأسلام وأهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكاذبين الدجالين... ثم يقول : وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذي لاعلم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه فحرفوا وغيروا وبدلوا)(١٠٥) .

وقال جمال الدين القاسمي : (وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها وهي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقباً والأدلاّء تقص طرقه في كل وجه، ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الأخبارين ولا من الأمم)(١٠٦) .

وقال أبن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) : (وقد وضع القصاص حول قوله تعالى ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قصة مكذوبة فزعموا أن إرم ذات العماد مركب جعل اسماً لمدينة باليمن أو الشام أو بمصر، ووصفوا قصورها بأوصاف غير معتادة وتقولوا أن أعرابياً يقال له عبد الله بن قلابة كان في زمن معاوية... وهذه أكاذيب مخلوطة بجهالة)(١٠٧) .

ويقول صاحب تفسير الميزان : (ومن الأساطير قصة إرم المشهورة المروية عن وهب بن منبه وكعب الأحبار)(١٠٨) .

وأختم هذا الموضوع بمقولة الدكتور محمد أبو شهبة فبعد أن يذكر هذه القصة الاسرائيلية المروية عن المفسرين مثل الطبري والثعلبي والزمخشري، وما روي أيضاً عن عبد الله أبن قلابة ودخوله مدينة إرم في زمن الخليفة معاوية يقول معلقاً : (وهذه القصة موضوعة، كما نبه الى ذلك الحفاظ، وآثار الوضع لائحةٌ عليه وكذلك ما روي : أن إرم

---

(١٠٥) الشوكاني – فتح القدير – م ٤٣٥/٥.

(١٠٦) القاسمي – محاسن التأويل – ج ١٤٤/٧.

(١٠٧) أبن عاشور – التحرير والتنوير – /٣٢٠،٣١٩.

(١٠٨) الطباطبائي – الميزان في تفسير القرآن – م ٢٨١/٢٠.

مدينة دمشق، وقيل الأسكندرية... وكل ذلك من خرافات بني أسرائيل، ومن وضع زنادقتهم، ثم رواها مسلمة أهل الكتاب فيما رووا، وحملها بعض الصحابة والتابعين وألصقت بتفسير القرآن الكريم)(١٠٩) .

التفسير الصحيح للآية :

هذا وبعد أن تبين لنا أن هذه القصة وما دار حولها من دخيل التفسير، ومن الخرافات التي لايجوز أن يفسر بها كلام اللّه تعالى، والذي يستحق أن يُلقى جانباً، ويعول عليه في شيء، أرى أن أبين التفسير الصحيح : لعاد، وإرم ذات العماد. إن المراد بعاد : هي قبيلة عاد المشهورة التي كانت تسكن الأحقاف شمال حضرموت، وهي عاد الأولى، وهم الذين بعث اللّه إليهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه فأنجاه اللّه ومن آمن معه منهم وأهلكهم اللّه ﴿بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية﴾(١١٠) .

وذكروا في عدة مواضع في القرآن ليعتبر بمصرعهم المؤمنون. وأما (إرم ذات العماد) : بدل من عاد أو عطف بيان زيادة تعريف بهم وسمّوا بذات العماد لأنهم كانوا في زمانهم أشد الناس خلقة، وأعظمهم أجساماً، وأقواهم بطشاً وقيل غير ذلك في سبب تسميتهم بهذا، وقد ذكّرهم نبيهم هود عليه السلام بهذه النعمة، وأرشدهم الى أن يستعملوها في طاعة اللّه الذي خلقهم ووهبهم هذه القوة فقال ﴿وأذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾(١١١) .

ولكنهم أغتروا بقوتهم وجبروتهم فقال ﴿من أشد منا قوة﴾(١١٢) ومعنى التي لم يخلق مثلها في البلاد : هي قبيلة عاد المشهورة التي لم يخلق مثلها في بلادهم وفي زمانهم لقوتهم وشدتهم وعظم أجسامهم.

---

(١٠٩) د. محمد أبو شهبة - الأسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - ص/٢٨٣.

(١١٠) سورة الحاقة : من ٦-٨.

(١١١) سورة الأعراف : آية رقم ٦٩.

(١١٢) سورة فصلت : آية رقم ١٥.

الخاتمة

لله الحمد في البدء وفي الختام، أرجو من الله أن ينفع به المسلمين، وأن يبصرهم بحقيقة كتابهم، ويوفقهم على الدخيل الذي دخل كتب التفاسير وكان جناية على الأسلام والمسلمين.

إن تراثنا في التفسير على أختلاف مناهجه وأساليبه لا يسلم من مرويات وخرافات أسرائيلية، فقد حوت كتب التفسير على غرائب وعجائب، وأستوى في ذلك تفاسير المتقدمين والمتأخرين على تفاوت في ذلك كثرة وقلة ومن هنا تبرز ظاهرة الخطورة الشديدة للدخيل على عقول المسلمين وعقيدتهم، ومن خلال الدراسة والبحث في هذا الموضوع توصلت إلى النتائج التالية :

١- كشف هذا البحث أن الأمام البغوي بحر وعلاّمة في التفسير والحديث والفقه وشتى علوم الشريعة الأسلامية.

٢- إن هذا التفسير عظيم القدر بالنسبة لبعض كتب التفسير ويظهر ذلك جلياً في أقوال العلماء وثنائهم عليه فقد جاء شاملاً لجوانب متعددة وأتجاهات مختلفة مما يجعله مفيداً لأعداد كبيرة من القراء والمهتمين بفهم كتاب الله وتدبره فقد حرص على المأثور من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وعني باللغة والنحو والقراءات وذكر آراء أهل السنة والسلف في قضايا العقيدة والأحكام الفقهية.

٣- إن هذا التفسير قد وجد فيه روايات أسطورية وقصص أسرائيلي وأباطيل لا يقبلها عقل ولا يؤيدها نقل ويرجع ذلك الى عدة اسباب منها :

أ - أن صاحب هذا التفسير قد سار على نهج من سبقه في عدم التمييز بين الصحيح والدخيل.

ب - إن الأمام البغوي أستخلص تفسيره من أكثر التفاسير حشواً بالاسرائيليات وهو تفسير الثعلبي.

ج - إن هذا التفسير كان من بواكير مصنفاته وبداية حياته العلمية.

د - أنه روى عمن عرفوا وأشتهروا برواية الضعيف والأسرائيليات كالسدي الصغير، ومقاتل بن سليمان، والكلبي وغيرهم.

٤- وجدت أن صاحب هذا التفسير قد بحث في مبهمات القرآن الكريم وفَصّل فيها، وحدد أشخاص وأزمان وأماكن أكثر القصص من غير إن يعتمد على سند صحيح فخالف بذلك منهج البحث العلمي السليم.

٥- كان الأمام البغوي يأتي بالخلافات والأقوال المتعارضة في تفسيره، وفي الأغلب لا يرجح قولاً على آخر ولا يضعف رواية ويصحح أخرى.

اقتراحات وتوصيات

حاول أعداء هذا الدين تحريف القرآن فلم يستطيعوا، لأن اللّه تعالى تولّى حفظه بنفسه، ولما لم يستطيعوا تحريف الكلم عن مواضعه فراحوا يدسون سمومهم في تراثنا الفكري، فأصاب التفسير ما أصاب غيره، فحوت كتب التفسير سواء القديمة منها أو الحديثة الكثير من الدخيل، ومن الأخبار الأسطورية الغريبة التي ما كان ينبغي أن توجد فيها والتي كانت خطراً على الأسلام والمسلمين وشغلت الأذهان عن تدبر القرآن، وألهت عن الغرض الذي أنزل القرآن من أجله، لذا فإنني أرى أن من الأفضل حماية لكتاب اللّه وصوناً له عن هذا اللغو والتزيد بما لا طائل تحته ما يلي:

١- أن تستمر دراسة الدخيل في كتب التفاسير، وأن تحدد مواطنه ويحذر منه لتتم الفائدة على نطاق واسع.

٢- أن تقرر مادة : (الدخيل في التفسير) على طلاب الشريعة في المرحلة الجامعية الأولى ليسنى لهم التعرف عليه لتجنبه وعدم روايته، وتحذير الناس منه.

٣- أن يُعلم هنا أن هناك آيات كريمة وردت في كتاب اللّه مُبهمة ليس فيها تحديد زمان أو مكان أو أشخاص أكثر القصص القرآني، فلا يجوز لأي أنسان كائناً من كان أن يبحث فيها ويفصل أحداثها دون أن يعتمد على سند صحيح عن المصطفى ﷺ فإذا كان الرسول ﷺ لم يبين لنا تلك التفصيلات فمن المؤهل بعد وقد أرتفع الوحي ؟.

٤- أن أقدم نصيحتي لكل المهتمين والراغبين في علم التفسير أن يكونوا في غاية الدقة والحذر واليقظة من هذه المرويات الدخيلة المثبوتة في كتب التفسير، وأن يشكوا في كل رواية لا تتناسب مع روح القرآن الكريم، ولا تتفق مع صحة النقل عن رسول اللّه ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١- الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم. طبقات الشافعية. تحقيق عبد الله الجبوري. ط الأرشاد. بغداد سنة ١٩٧٠.

٢- الآلوسي، شهاب الدين. روح المعاني. دار أحياء التراث العربي. بيروت.

٣- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود أبن الفراء. معالم التنزيل. (تفسير الخازن بالبغوي) الطبعة الثانية. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٤- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. مشكلة المصابيح. تحقيق محمد ناصر الدين الالباني. الطبعة الثانية. المكتب الأسلامي للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٧٩.

٥- أبن تيمية، تقى الدين بن أحمد. مقدمة في أصول التفسير. تحقيق عدنان زرزور. الطبعة الثانية. دار القرآن الكريم. الكويت ١٩٧٢.

٦- جمعية التوراة الأمريكية. الكتاب المقدس. (كتاب العهد القديم والجديد). القاهرة ١٩٣٨.

٧- الحموي، ياقوت. معجم البلدان. دار بيوت للطباعة والنشر. بيروت.

٨- الحنبلي، أبن عماد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

٩- الخازن، علاء الدين علي بن محمد. لباب التأويل في معاني التنزيل. الطبعة الثانية. ١٩٥٥. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

١٠- خان صديق حسن. فتح البيان في اعجاز القرآن. دار الأنتصار بالقاهرة.

١١- أبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. نحقيق احسان عباس. دار الثقافة. بيروت.

١٢- خليفة، أبراهيم عبد الرحمن. الدخيل في تفسير القرآن. مطبعة دار الملايين بمصر ١٩٨٤.

١٣- الداوودي، شمس الدين محمد بن علي. طبقات المفسرين. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة وهبه. القاهرة.

١٤- الذهبي، محمد حسين. الأسرائيليات في التفسير والحديث. مطبعة الأزهر ١٩٨٧.

- سلسلة البحوث الأسلامية -، ط الثالثة. مكتبة وهبه القاهرة ١٩٨٦.

- التفسير والمفسرون. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

١٥- الذهبي، محمد بن أحمد بن عقمان. ميزان الأعتدال في نقد الرجال. الطبعة الأولى. مطبعة السعادة ٣٢٥٠هـ.

١٦- الزركشي، بدر الدين بن محمد بن عبد اللّه. البرهان في علوم القرآن. الطبعة الأولى. ١٩٥٧.

١٧- السبكي، تاج الدين السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو. الطبعة الأولى. ١٩٦٤.

١٨- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد. الأنساب. الطبعة الأولى. مجلس دار المعارف العثمانية حيدر آباد ١٩٦٣.

١٩- السيوطي، جلال الدين. طبقات المفسرين. ط ليدن طهران، ١٩٦٠.

الدر المنثور في التفسير المأثور. دار المعرفة. بيروت.

٢٠- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. نشر دار المعرفة.

٢١- أبو شهبة، محمد بن محمد. الأسرائليات في كتب التفسير. الطبعة الرابعة. مكتبة السنة ١٤٠٨هـ.

- تهذيب التهذيب. الطبعة الأولى. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد.

٢٢- الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الثانية ١٩٧٤.

٢٣- أبن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. ١٩٨٤. الدار التونسية للنشر.

٢٤- العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري لشرح صحيح البخاري. الطبعة الثانية. دار احياء التراث العربي. بيروت. ١٤٠٢هـ.

٢٥- فايد، عبد الوهاب. الدخيل في تفسير القرآن الكريم. الطبعة الأولى. مطبعة حسان ١٩٧٨.

٢٦- الفخر الرازي. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. الطبعة الثالثة. دار احياء التراث العربي. بيروت.

٢٧- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. المؤسسة العربية للطباعة والنشر. دار الجيل بيروت.

٢٨- القاسمي، محمد جمال الدين. محاسن التأويل. نشر دار احياء الكتب العربية. تعليق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٩- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. الطبعة الثانية. دار الكتاب العربي. ١٩٦٧.

٣٠- أبن كثير، اسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. الطبعة الثانية. مكتبة المعارف. بيروت ١٩٧٤.

- تفسير القرآن العظيم - دار المعرفة. بيروت. ١٩٨٤.

٣١- أبن منظور، أبو الفضل جمال محمد بن مكرم. لسان العربي. دار صادر. بيروت.

٣٢- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد. مرآة الجنان وعبر اليقظان. مؤسسة الأعلمي. دار المعارف النظامية. حيدر آباد. ١٣٣٨هـ.